التمهـــيد

نجيب الكيلاني: لمحات من حياته

obeikandl.com

obeikandl.com

نجيب الكيلاني: لمحات من حياته

درج كثير من الدارسين–في مثل هذه البحوث–على تتبع كل التفاصيل والجزئيات الدقيقة في حياة الأديب موضع الدراسة، بيد أني آثرت ألا أفعل لسببين: أولهما – أن مثل هذه التفاصيل ربما لا تفيد كثيرًا في دراسة تتغيا تناول القيم الموضوعية والفنية عند شاعر كنجيب الكيلاني، والعرب تقول: "كفى من القلادة ما حف بالعنق"، وثانيهما – أن نجيب الكيلاني قد كفانا مشقة هذا التتبع وذلك الاستقصاء حين كتب سيرته الذاتية في خمسة أجزاء بعنوان "لمحات من حياتي"[2]، وفيها غُنْية لمن أراد المزيد، ومن ثم فإني سأقتصر في هذه الترجمة على تناول أهم المعالم الرئيسة في حياة شاعرنا، وكل ما له صلة مباشرة بتجربته الشعرية، ويمكن حصر أهم هذه المعالم فيما يأتي:

أولًا – نشأته وتعليمه:

ولد "نجيب الكيلاني عبد اللطيف" في أول يونيو عام 1931 بقرية "شرشابة" بمحافظة الغربية، وكان أول مولود لوالديه[3]. وقد نشأ في أسرة متواضعة تعمل بالزراعة وتمثل لها مصدر الدخل الرئيس، وفي الرابعة من عمره أخذه جده إلى مكتب تحفيظ القرآن بالقرية، فتعلم القراءة والكتابة وقدرًا كبيرًا من القرآن الكريم، والأحاديث النبوية وسيرة الرسول ﷺ وبعض القصص القرآني[4].

---

(2)–طبعت سيرة نجيب الكيلاني مرتين، صدرت الأولى عن مؤسسة الرسالة ببيروت في خمسة أجزاء بعنوان "لمحات من حياتي"، ويغلب على الظن أن الشاعر قد احتذى عنوان "لمحات من سيرة حياتي وثقافتي" بقلم الشاعرة "نازك الملائكة"، ثم أعادت مطبعة "المختار" بالقاهرة طبع سيرته للمرة الثانية في جزأين بعنوان "مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني"، وهي الطبعة التي اعتمدت عليها؛ إذ لم يتيسر لي من طبعة مؤسسة الرسالة سوى ثلاثة أجزاء من خمسة.

(3) – انظر: مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، كتاب المختار، القاهرة 2006، ص 11 .

(4) – انظر: السابق، ص 14.

انتقل "الكيلاني" مباشرة إلى المرحلة الثانوية بعد أن أنهى المرحلة الابتدائية؛ إذ لم يكن للمرحلة الإعدادية وجود أوانئذ، وبعدها التحق بكلية طب القصر العيني عام 1951 نزولا على رغبة والده، مع أنه كان يتمنى أن يلتحق بكلية الآداب أو الحقوق[٥]، وفي السنة الرابعة بالكلية قدم للمحاكمة في إحدى القضايا السياسية، وحكم عليه بالسجن عشر سنوات، وفي تلك الفترة، جمع ديوانه الثاني "أغاني الغرباء"، وكتب روايته الأولى "الطريق الطويل"[٦]، وبعد أن أُفرج عنه بعفو صحي عاد ليستأنف دراسته في كلية الطب حتى تخرج فيها عام 1961.

ثانيًا – حياته العملية:

قضى "الكيلاني" سنة الامتياز (التدريب) بمستشفى أم المصريين بالجيزة 1961، وبعدها صدر قرار حكومي بتكليف الأطباء بالعمل في الريف، فاغتم الكيلاني لهذا القرار الذي سيحرمه من دنيا الأدب والأدباء، وسيقف حائلًا دون متابعة أعماله الأدبية المرتبطة بالقاهرة، وحاول إقناع وزير الصحة آنذاك الدكتور "النبوي المهندس" بأنْ يكلفه بالعمل في القاهرة كي يستطيع متابعة أعماله الأدبية، فرد عليه قائلًا: "في الريف ستنفتح أمامك آفاق واسعة للكتابة ... فلتمكث هناك عامًا على الأقل"[٧].

لم يجد الكيلاني-إذًا-مناصًا من انتقاله إلى الريف، فاختار قريته ومسقط رأسه "شرشابة"، ليقوم بالعمل في وحدتها الصحية، ويكون بجوار أهله وذويه وأبناء بلدته الذين يرى خدمتهم دينًا وواجبًا عليه، واستطاع الكيلاني بجده وإخلاصه في عمله أن يكسب حب الناس وثقتهم، فأقبلوا عليه من قريته والقرى المجاورة لها؛ مما جلب عليه عداوة بعض زملائه في الوحدة وعداوة بعض

---

(٥) – انظر: د. جابر قميحة: أدبيات الأقصى والدم الفلسطيني، مركز الإعلام العربي ، القاهرة 2001م، ص 83.

(٦)– انظر: مجلة الأدب الإسلامي: عدد (9/ 10) الخاص بنجيب الكيلاني، ص 6.

(٧) – انظر: مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني ص339.

المفتشين الطبيين[8]، فسعوا به لدى محافظ الغربية، وذهل الكيلاني حين فوجئ بنقله من قريته؛ فلم يمض عليه بها سوى شهرين[9].

عاد "الكيلاني" بأسرته مرة أخرى إلى القاهرة وتفرغ لكتابة رواية عن تجربته تلك، سماها "الذين يحترقون"، وفي القاهرة التقى صديقه الصحفي الأستاذ رجاء النقاش، وروى له قصته في الريف، فبادر بكتابة مقال في جريدة الأخبار القاهرية بعنوان: (قصة واقعية مهداة لمحافظ الغربية ... من المسئول عن حماية هؤلاء الأدباء؟)، وأحدث المقال دويًا هائلًا في المنطقة الطبية ومحافظة الغربية ووزارة الصحة، فقام محافظ الغربية باستدعائه على الفور ونقله إلى قريته مرة أخرى[10].

ظل الكيلاني في قريته ينفق وقته ما بين مداواة المرضى، وتسجيل آرائه وأفكاره حول "الأدب الإسلامي"، فكتب في تلك الفترة كتاب "الإسلامية والمذاهب الأدبية"، وأثناء إجازته السنوية جاءته رسالة من وزارة الصحة تبدي فيها استعدادها لنقله إلى عمل تابع لوزارة النقل والمواصلات ... وتم النقل بسرعة لم يتوقعها، فتسلم عمله في القسم الطبي بهيئة السكك الحديدية بشارع الجلاء بالقاهرة[11].

كان نجيب الكيلاني في تلك الفترة يقيم بمنزل صهره الشيخ محمود شاهين، ريثما يجد شقة مناسبة، وذات يوم طلب إليه رئيسه في العمل أن يذهب إلى القسم الطبي للسكة الحديد في "أبو زعبل"، وأخبره أن هذا انتداب لمدة أسبوع واحد، لكنه حين ذهب إليها راعه جمالها وهدوءها، وهناك أشار عليه أحد المرضين بالانتقال إليها، فمستشفى المدينة تعاني نقصًا في الأطباء، وراقت الفكرة نجيب الكيلاني؛ لأنها ستحل له أزمة السكن من جانب، كما ستوفر له الهدوء اللازم

---

(8) – سبب تلك العداوة هو التزام "الكيلاني" الصارم بتنفيذ مشروع اشتراكية العلاج الذي أعلنته الدولة وقتذاك، وكان هؤلاء الحانقون عليه يستفيدون منه بطريق غير مشروعة، انظر: مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ص341 .

(9) – انظر: السابق: الصفحة نفسها.

(10)– انظر: مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ص 343، 344.

(11) – السابق: 356، 358.

للقراءة والكتابة من جانب آخر ... وفي خلال أسبوع كان الكيلاني قد انتقل بأسرته إلى مدينة "أبو زعبل"، وألقى عصا الترحال في "فيلا" أنيقة بها[12].

كانت السنوات التي قضاها الكيلاني بمدينة أبو زعبل من أحلى سنوات العمر على حد قوله[13]، وظن أن أيام الشقاء قد ذهبت إلى غير رجعة، ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان، لقد صدر القرار الجمهوري: باعتقال كل من سبق اعتقاله والمشتبه في أمره[14]، وبدأت مأساة جديدة لم يكن ليتوقعها، فاعتقل للمرة الثانية صبيحة اليوم السادس من شهر سبتمبر عام 1965، وبدا لنجيب الكيلاني أن حياته بمصر محفوفة بالمخاطر، وأن تهمة انضمامه للإخوان المسلمين ستظل تلاحقه ما بقي جمال عبد الناصر في الحكم، فما عساه يفعل؟، يصف الكيلاني ما وصل إليه بعد طول تفكير فيقول: "كنت أفكر كثيرًا فيما تجيء به الأيام. وماذا سأفعل عندما يأتي فرج الله، ونغادر المعتقل، لقد فكرت طويلًا وخرجت بنتيجة ارتحت لها، وهي أنني لابد أن أهاجر وأترك وطني الحبيب وأهلي وأحبابي ... لقد اتضح بما لا يدع مجالًا للشك أنه ما دام جمال عبد الناصر موجودًا فلن يكون هناك ضمان لعدم تكرار المأساة"[15].

وبالفعل بعد أن أفرج عنه، كان السفر إلى الخارج شغله الشاغل وهمه المقيم، وبدأ جهدًا دءوبًا للحصول على موافقة بالسفر، لكنها كانت تقابل دائمًا بالرفض من رجال الأمن، حتى نجح مسعاه في بداية عام 1968، وحصل على تأشيرة خروج[16]، وسافر إلى الكويت في 31 / 3 / 1968 ومنها إلى دولة الإمارات العربية المتحدة[17].

([12]) – مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ص 359 بتصرف.

([13]) – السابق: 360.

([14]) – السابق: 396 بتصرف.

([15]) – مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ص 457.

([16]) – اضطر "الكيلاني" إلى بيع أثاث بيته لتوفير ثمن تذكرة السفر، راجع مذكراته، ص 475.

([17]) – انظر: السابق: الصفحة نفسها.

مكث شاعرنا خمسة وعشرين عامًا بدولة الإمارات العربية، ظل خلالها يعالج ويداوي ويعلم كل فئات المجتمع فوق أرض الإمارات، وانتقل من حياة القلق والاضطراب إلى حياة مستقرة آمنة، ومن ضيق ذات اليد إلى سعة الرزق، وأصبح في مهجره محط تقدير عظيم على المستوى الحكومي والشعبي والعربي والإسلامي[18].

وفي الإمارات استأثر العمل المهني والإعلامي بالنصيب الأوفر من وقته وجهده؛ فقد "كُلف من وزارة الصحة الاتحادية بإنشاء المجلس الطبي، والصحة المدرسية والطب الوقائي والتثقيف الصحي، وكان مسئولًا عن كل هذه الأقسام في وقت واحد. ثم ترقى وظيفيًا إلى درجة مدير إدارة، وتخصص في التثقيف الصحي، وزيادة على ما سبق أصبح مستشارًا خاصًا لوزير الصحة"[19]، يضاف إلى ذلك عمله في الإذاعة والتلفاز، فقد كان يقدم برنامجًا صحيًا يوميًا في إذاعة "أبو ظبي"، ويشارك في برنامج عيادة على الهواء في إذاعة الشارقة، فضلًا عن برامج أخرى دينية وثقافية وأدبية[20]، وقد كان لهذه المهام-ولا ريب-أثر سلبي على إنتاجه الشعري، فلم ينظم في تلك الفترة سوى قصائد قليلة، ضمها ديوانه المخطوط "لؤلؤة الخليج"، وهي على قلتها لا تخلو من ملامح الضعف والفتور.

ثالثًا-زواجه وأولاده:

تزوج نجيب الكيلاني في سن مبكرة، وكان لإنتاجه الأدبي فضل في هذا الزواج، فبعد أن أُفرج عنه أواخر عام 1958م بعفو صحي بدأت فكرة الزواج تلح عليه، ولم يجد "الكيلاني" صعوبة في توفير نفقات الزواج-رغم أنه ما يزال طالبًا - ؛ إذ كان مما سهل عليه أمر التفكير في الزواج أن أصبح له دخل يكفيه أن يبني حياة زوجية معقولة، وخاصة بعد أن قررت وزارة التربية

([18]) - د.جابر قميحة: "شعر نجيب الكيلاني بين مقتضيات الرسالة وآفاق التطور"، بحث منشور في مؤتمر "الأدب الإسلامي في خدمة الدعوة": 2 / 467.

([19]) - انظر: السابق ص 465، ومذكرات الدكتور نجيب الكيلاني ص 376.

([20]) - انظر: السابق ص 465.

تدريس بعض كتبه على طلبة المدارس، كما أن مؤلفاته الأخرى وكتاباته في الصحف والمجلات كانت توفر له دخلًا لا بأس به[21].

أما زوجه فهي السيدة **"كريمة"** ابنة الشيخ محمود محمد شاهين أحد علماء قرية نجيب الكيلاني. انتقل هذا الشيخ ليعمل إمامًا بأحد مساجد القاهرة، وكان "الكيلاني" يختلف إليه كثيرًا[22]، يأنس بحديثه، ويفيد من آرائه وخبرته، وهناك أعجب بكبرى أبنائه "كريمة" رغم صغر سنها؛ إذ كانت-كما يقول الكيلاني ـ: "لماحة ذكية، ذات وجه باسم، وحيوية واضحة، وعذوبة في الكلام، وجمال في الملامح، ولقد دخلت هذه البنت الصغيرة قلبي على الرغم من أنها في مرحلة الطفولة المتأخرة"[23]، وقد وجد الكيلاني لدى زواجه منها سكنًا وأمنًا، وعونًا ونصيرًا على لأواء الحياة ومصاعبها. ولندع الكيلاني نفسه يصف لنا أثر هذه الزوجة الرءوم في حياته: "... ملأت حياتي بالحب، وأثرت دنياي بالبهجة ووجدت لدى الزواج منها الاستقرار بعد القلق، والوحدة بعد الشتات، والأنس بعد الوحشة، ووجدت فيها سندًا أتكئ عليه في المحنة، وقلبًا يخفق إلى جواري في الشدة والرخاء ويدًا تدفعني إلى الأمام، وتسمو بي إلى أعلى، ووجدتها تبكي لألمي، وتسعد لسعادتي، بل وتقذف بنفسها في مواطن الخطر يوم غيبتني السجون في ظلامها الدامس، وذهبتْ إلى رئيس الجمهورية نفسه تسائله عن السبب في هذا العناء كله ..." [24].

استطاع شاعرنا أن يستأجر شقة بحي شبرا، وتم الزواج قبيل تخرجه ببضعة شهور، وقد رزقه الله أربعة أبناء هم على الترتيب: "حسام الدين" تخرج في كلية العلوم، و"عزة" طبيبة نساء، و"جلال الدين" وهو طبيب متخصص لأمراض القلب، و"محمود" تخرج في كلية الحقوق[25].

رابعًا – مع الإخوان المسلمين:

([21]) – نقلًا عن مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني ص 338 بتصرف.

([22]) – كان الكيلاني وقتها طالبًا بكلية الطب، ويسكن المدينة الجامعية (مدينة فاروق الأول الجامعية بالأورمان).

([23]) – مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني ص 337.

([24]) – السابق: ص 116.

([25]) – انظر: مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني ص 339.

obeikandl.com

نشأ نجيب الكيلاني في أسرة تشايع حزب الوفد، وتتعصب لمبادئه، وتعد الانشقاق عليه أمرًا خطيرًا، بل فسادًا ومروقًا-على حد تعبيره[26] ـ، ثم جاء الحادث الذي غير مجرى حياته، فذات يوم دعاه أحد زملائه إلى حفل أقامه "الإخوان المسلمون" بمناسبة الهجرة النبوية بمدينة ميت غمر[27]، وفي هذا الحفل أُخِذ الكيلاني بأسلوب الإخوان الجديد في الدعوة والخطابة وربطهم بين مجد الإسلام وانتصاراته وواقع المسلمين المخزي، كما بهره شاعرهم وهو يحكى في شعره قصة الهجرة وعظمة رسول الله ﷺ، ومنذ ذلك اليوم بدأ الكيلاني يغشى مجتمعات الإخوان ويحرص على متابعة صحفهم وكتبهم، بيد أن هجوم الإخوان على حزب الوفد وتاريخه كان سببًا في نفوره منهم، وحاجزًا دون انضمامه إليهم. لكن هذا الحاجز بدأ يتحطم عندما رأى شاعرنا أفواج المتطوعين من "الإخوان المسلمين" تجوب شوارع "طنطا" مرددة الهتافات قبيل سفرهم للجهاد في فلسطين، وتحطم الحاجز تمامًا يوم اغتيال الإمام "حسن البنا"، وانخرط نجيب الكيلاني في سلك "الإخوان المسلمين" في أقسى الأيام وأشدها حلوكة وخطرًا[28]، وبدأ الكيلاني بهذا الانضمام رحلة من المتاعب والآلام لم تنته إلا بمغادرة مصر إلى مدينة "دبي" بالإمارات العربية المتحدة.

ظلت العلاقة بين الثورة والإخوان وادعة في السنتين الأوليين، لكن الثورة بدأت تتوجس منهم خيفة وترى فيهم خطرًا عليها، فاتخذ مجلس الوزراء في 13 يناير 1954م قرارًا بحل جماعة الإخوان المسلمين، ثم وصل الصدام ذروته بوقوع حادث المنشية في أكتوبر من العام نفسه، واتهم الإخوان بتدبيره، فبدأت على إثره حملة اعتقالات واسعة في صفوف الإخوان، وكان نجيب الكيلاني واحدًا ممن طالته هذه الاعتقالات.

([26]) – السابق، ص 55.

([27]) – كان الكيلاني وقتها طالبًا بالمرحلة الثانوية.

([28]) – انظر: مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ص 56.

obeikandi.com

اعتقل الكيلاني مرتين تنقل خلالهما بين سبعة سجون، كانت المرة الأولى فى7 / 8 / 1955م بتهمة الاشتراك في تنظيم سرى مسلح يعمل على قلب نظام الحكم[29]، وحكم عليه بالسجن لمدة عشر سنوات، لكن أفرج عنه بعفو صحي أواخر عام 1958م[30].

أما المرة الثانية فكانت في 6 / 9 / 1965م[31]، بناء على قرار جمهوري باعتقال كل من سبق اعتقاله أو تحوم حوله شبهة، وأفرج عنه في شهر نوفمبر 1966م، فغادر مصر إلى دولة الإمارات العربية.

خامسًا – ثقافته:

كان نجيب الكيلاني ذا ثقافة واسعة، وعقلية موسوعية يشهد بذلك إنتاجه الأدبي الـذي قارب مائة كتاب أو يزيد[32]، وهي في مجملها ثقافة عربية إسلامية، أسهم في تكوينها عدة عوامل، أهمها:

1 – اطلاعه الواسع:

أخذ الكيلاني نفسه بمنهج نَهِمٍ فى القراءة والاطلاع منذ أن كان طالبًا بمدرسة "طنطا" الثانوية، يقول الكيلاني: "أما المكتبة العامة فقد كانت مكانًا مفضلًا لي عصر كل يوم، كنت آخذ كتب كبار الأدباء وأقرؤها بشغف زائد، وأسجل في كراستي بعض الملاحظات الهامة"[33]، كما كان الكيلاني حريصًا في تلك الفترة على متابعة واقتناء الدوريات الأدبية والإسلامية، مثل مجلة "الرسالة" و"الهلال"، و"نور الإسلام"، و"الإخوان المسلمون"، وسلسلة "اقرأ"، و"كتب

([29]) – انظر: السابق، ص 181.

([30]) – انظر: السابق، ص 299.

([31]) – انظر: السابق، ص 395.

([32]) – د. جابر قميحة: أدبيات الأقصى والدم الفسطيني، ص 83.

([33]) – مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ص 51.

obeikandl.com

للجميع"، و"قصص للجميع"، و"كتاب الهلال"، و"روايات الهلال"، ومجلة "المختار الأمريكية المترجمة"، وقد قرأ من خلال هذه الدوريات لكبار الأدباء والمفكرين؛ فعلى صفحات "الرسالة" عرف الزيات، والرافعي، وزكي مبارك، ودريني خشبة، وأنور المعداوي، وفى "الهلال" عرف أحمد أمين، والعقاد، والمازني، وطه حسين، وفكري أباظة، والشاعر محمود عماد، وعلى الجارم، ومهدي علام، وفى الدوريات السياسية والإسلامية عرف أحمد أبو الفتح، وأحمد حسين، وسيد قطب، وصالح عشماوي، ومحمد الغزالي... وغيرهم[34].

يضاف إلى ما سبق قراءته لكبار كتاب القصة والمسرح في مصر والدول الأجنبية، أمثال: محمود تيمور، وتوفيق الحكيم، ومحمد عبد الحليم عبد الله .. ومكسيم جوركى، وديستوفسكي، وستيفان زفايج، وألكسندر دوماس الأب والابن، وإميل زولا، وسارتر، وألبير كامى، وتولستوي، وجوجول، وتشيخوف، وتورجينيف، ولوجي براندياللو، وهيمنجواي، وأجاثا كريستي... وغيرهم، وقد كانت قراءته لكل هؤلاء قراءة تحليلية ناقدة يتفق معهم ويختلف، ويأخذ منهم ويدع[35].

2 – بيـئته:

لا ينجو أديب من التأثر بالبيئة التي نشأ فيها ضربة لازب، إنما يكون التفاوت بين الأدباء في مقدار هذا التأثر ودرجته، وقد فتح شاعرنا عينيه على بيئة ريفية تتميز أول ما تتميز بجمال طبيعتها وسحرها الأخاذ، وسمع منذ صباه الأغاني الشعبية والمدائح النبوية والملاحم والأشعار التي كانت تنشد بالموالد وحفظ كثيرًا منها[36]، كما سمع كثيرًا من القصص التي دأب الناس في الريف على روايتها صحيحة كانت أو غير صحيحة، يقول شاعرنا: "كانت البيئة التي نشأت فيها تحفل بالقصة كثيرًا، وتوليها اهتمامًا كبيرًا، وتعول عليها أيما تعويل، وتعتبرها مصدرًا مصدقًا في

([34]) – انظر: السابق، ص 73.

([35]) – انظر: السابق، ص 73 – 78، وكذلك نجيب الكيلاني: تجربتي الذاتية في القصة الإسلامية، دار ابن حـزم1991م، ط1، ص 38، 39.

([36]) – انظر: مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ص 9.

أغلب الأحيان... والناس في قريتنا يروون القصص عن كل شيء دون اعتبار لخطأ ما يروى أو صحته"[37]، كما كان أبوه يروي له قصص السيرة الشعبية شعرًا، كقصة أبي زيد الهلالي، وعزيزة ويونس، وعنتر بن شداد، والزير سالم، والأميرة ذات الهمة، وغيرها[38]، وقد ظهر أثر هذه القصص والأشعار جليًا في أدبه، في حين جاء حظ شعره من هذا التأثر ضئيلا إذا ما قورن بقصصه ورواياته.

3 – الندوات والأمسيات الأدبية:

يأتي في مقدمة تلك الندوات ندوة الأستاذ "نجيب محفوظ"، وكانت تسمى "الحرافيش"، وتعقد الندوة في الساعة العاشرة صباح كل جمعة في مكان يطل على ميدان الأوبرا[39]، وقد ظل شاعرنا حريصًا على حضور الندوة حتى أطاح بها رجال الأمن بدعوى أنها تضم عددًا من الشيوعيين القدامى الذين سبق اعتقالهم[40].

وفى الثلاثاء من كل أسبوع تعقد أمسية نادى القصة باتحاد الكتاب، وكانت الأمسية تنوع في موضوعاتها، فمرة تكون الأمسية شعرية، وثانية تخصص للقصة، وثالثة لمناقشة كتاب نقدي، ورابعة تدور حول شخصية من الشخصيات، وهناك ندوات أخرى كان يختلف إليها شاعرنا، مثل "دار الأمناء" لدى الأستاذ الكبير أمين الخولي وحرمه الأستاذة الدكتورة بنت الشاطئ، و"رابطة الأدب الحديث"، والجمعية الأدبية المصرية ... وغيرها[41].

ولم تقتصر إفادة شاعرنا من هذه الندوات وتلك الأمسيات على الزاد المعرفي والثقافي الذي يمكن تحصيله من خلال ما يدور فيها من مناقشات ومدارسات، بل أفادته كذلك في توطيد علاقته بكبار الأدباء والكتاب؛ مما كان له – ولا شك – أثر في ثقافته الأدبية؛ ففي ندوة

([37]) – نجيب الكيلاني: تجربتي الذاتية في القصة الإسلامية، ص 9.

([38]) – انظر: السابق، ص 11.

([39]) – مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ص 311.

([40]) – انظر: السابق، ص 315.

([41]) – انظر: السابق، ص 313.

"الحرافيش" توثقت صلته بصاحبها الكاتب الكبير نجيب محفوظ الذي قرأ عددًا من أعمال الكيلاني الروائية وأعجب بها، واختار واحدة منها للسينما هي رواية "ليل وقضبان"، ولم تنقطع الصلة بينهما إلا بسفر الكيلاني للعمل بدولة الإمارات عام 1968، وإن بقي شاعرنا على اتصال دائم بمؤلفاته، كما كتب عنه مقالًا بمجلة "المنتدى" التي تصدر بدبي بعد حصوله على جائزة نوبل[42]، كما تعرف في هذه الندوة إلى الأستاذ عبد الحميد جودة السحار صاحب مكتبة "مصر"، وقد نشر له روايته الأولى "الطريق الطويل" وهو ما يزال في السجن، والأستاذ على أحمد باكثير والأستاذ عباس خضر... وغيرهم[43].

وفى نادي القصة تعرف إلى الأستاذ الكبير محمد عبد الحليم عبد الله، والأستاذ يوسف السباعى، والدكتور طه حسين "رئيس الشرف"[44]، كما كانت تربطه علاقة خاصة بالمحقق الكبير الأستاذ محمود شاكر؛ حيث تعرف إليه في سجن "مزرعة طره"، ويقول عنه الكيلاني: "إن محمود شاكر كان موسوعة علمية متحركة"[45].

4 – الإخوان المسلمون:

بدأ تأثير جماعة "الإخوان" في نجيب الكيلاني في وقت مبكر قبل أن ينضم إليها ويصبح واحدًا من أفرادها، فقد كانت مقار الإخوان المسلمين بطنطا – كما يقول الكيلاني – أقوى مراكز العطاء الفكري والثقافي..."كان الإخوان يضعون برنامجًا حافلًا للمحاضرات المختلفة التي تضم الفكر والأدب والتاريخ والسياسة والاقتصاد والتوعية الصحية، وكانوا يربطون هذه الموضوعات كلها برباط الإسلام،... كما كانوا يقيمون مهرجانات للشعر والمسرح الإسلامي والألعاب الرياضية، كما يضعون بعض الكتب والمجلات والنشرات تحت تصرف الرواد... كنت أغشى

([42]) – انظر: السابق، ص 317.

([43])–انظر: السابق ، ص311.

([44]) – انظر: مذكرات الدكتور نجيب الكيلاني، ص318.

([45]) – السابق، ص439.

مجتمعات "الإخوان"، وأنهل من ثقافتهم وعلمهم، وأتعلم الكثير منهم على الرغم من عدم انضمامي رسميًا لهم"[46].

والواقع أن استفادة شاعرنا من "الإخوان" لم تكن وقفًا على الثقافة الإسلامية فحسب، فقد كان الكيلاني معجبًا بأدب "الإخوان المسلمين"؛ لأنه كان متفردًا بطابعه الخاص، كما كان للإخوان تجارب نقدية حول ما يقدم من أدب معاصر، وكانت هذه التجارب تُنحي باللائمة على أدب الجنس والتحلل[47]، كما نجد صدى واسعًا لآراء الإخوان وأفكارهم في أدبه القصصي منه والشعري، فقد تناول في رواياته كثيرًا من المآسي والآلام التي تعرض لها الإخوان في السجن، كرواية "ليل وقضبان"، ورواية "رحلة إلى الله" التي يقول عنها أحد النقاد: "إن رواية نجيب الكيلاني "رحلة إلى الله" قد خدمت الفكر الإخواني أكثر مما خدمته المؤلفات الكثيرة التي تعرضت لمآسي أعضاء هذه الجماعة (الإخوان المسلمون) من اضطهاد وتعذيب"[48]، فضلًا عن أن حرص الإخوان على إسلامية أطروحاتهم كان بمثابة سياج لفكر الكيلانى يحميه من الشطط فى التصور أو الانحراف في الرؤية.

بقي أن أشير إلى أن دراسة شاعرنا في كلية الطب قد بدا تأثيرها واضحًا في قصصه ورواياته، كقصة "الذين يحترقون"، ومجموعته القصصية "حكايات طبيب"، وكذلك مؤلفاته الطبية، في حين لم ترد سوى إشارات قليلة في شعره إلى مهنته بوصفه طبيبًا.

سادسًا: أدبه:

بدأ الكيلاني حياته الأدبية شاعرًا، قبل أن يتجه إلى القصة، فنظم الشعر في سن مبكرة، وأصدر -على نفقته الخاصة- ديوانه الأول "نحو العلا"، وقدمه له أستاذ اللغة العربية "عبد الستار عجور"، الذي أبدى إعجابًا واضحًا به، وإرهاصًا بمستقبل أدبي حافل، يقول الأستاذ عجور: "وأصدق الرأي فيك يا نجيب – وديوانك هذا باكورة إنتاجك الأدبي- أن سيكون لك على الزمن

---

(46) – انظر: السابق، ص55.

(47) – انظر: نجيب الكيلاني: رحلتي مع الأدب الإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت 1985، ط1، ص 10.

(48) – نجيب الكيلاني: تجربتي الذاتية في القصة الإسلامية، ص 75.

ديوان شعر ضخم ... ومن حقك عليّ يا نجيب أن أقدمك إلى عالم الأدب، وأنا عظيم الثقة بأن سيكون لك فيه شأن، أي شأن"[49]، ولقد صدقت نبوءة أستاذه حقًا، فأصبح أديبًا واسع العطاء موفور الإنتاج في فنون الأدب المختلفة.

أصبحت القصة بعد ذلك ميدان الكيلاني المفضل، وتفوقت على الشعر كمًا وكيفًا، خاصة بعد أن قدم للمحاكمة، وحكم عليه بالسجن عشر سنوات، فوجد القصيدة أضيق من أن تعبر عما يعتمل بداخله "لقد أصبحت القصيدة أضيق من أن تحمل كل ما يثور في داخلي من براكين، وما يعتمل في نفسي من مشاعر الغضب والضيق والثورة، رأيت أن القصة أنسب لأن أعبر بوضوح وقوة بعيدًا عن الغموض والتهويمات والأحاجي والألغاز"[50].

وكان لشاعرنا نشاط أدبي متميز، فقد شارك في عدد كبير من المؤتمرات الأدبية والعلمية (أكثر من عشرين مؤتمرًا)، وكان عضوًا باتحاد الكتاب ونادي القصة، ورابطة الأدب الإسلامي العالمية التي دعا إلى إنشائها عام 1960 في كتابه "الطريق إلى اتحاد إسلامي"[51]، كما ترك تراثًا أدبيًا وفكريًا يمتاز بالتنوع والوفرة، فقد كتب الشعر والرواية والقصة القصيرة والمسرحية والتنظير الأدبي والسيرة الذاتية، وله كذلك دراسات إسلامية واجتماعية وطبية، وتلك قائمة[52] بمؤلفاته موزعة حسب مجالها:

أولا-الشـــــعر:

1-ديوان "نحو العلا".

2-ديوان "أغاني الغرباء".

([49]) – انظر: نجيب الكيلاني: رحلتي مع الأدب الإسلامي، ص 10. ونجيب الكيلاني: ديوان "نحو العلا"، المطبعة اليوسفية بطنطا 1950، ط1، ص 5، 6.

([50]) – نجيب الكيلاني: تجربتي الذاتية في القصة الإسلامية، ص 22.

([51]) – انظر: مجلة الأدب الإسلامي ع9/ 10، ص 7.

([52]) – اعتمدت في هذه القائمة على ما ذكرته مجلة الأدب الإسلامي في عددها الخاص بنجيب الكيلاني، ص 190 – 192، وما ذُكر في كتبه.

3-ديوان "عصر الشهداء".

4-ديوان "كيف ألقاك".

5-ديوان "مهاجر".

6-ديوان "مدينة الكبائر".

7-ديوان "أغنيات الليل الطويل" (مخطوط).

8-ديوان "لؤلؤة الخليج" (مخطوط).

ثانيا-الروايـــــة:

1-الطريق الطويل.

2 -نور الله (جزآن).

3-اليوم الموعود.

4-قاتل حمزة.

5-النداء الخالد.

6-مواكب الأحرار (نابليون في الأزهر).

7-دم لفطير صهيون.

8-عمر يظهر في القدس.

9-على أبواب خيبر.

10-ليالي تركستان.

11-عذراء جاكرتا.

12-عمالقة الشمال.

13-الظل الأسود.

14-ليالي السهاد.

15-رجال وذئاب.

16-الذين يحترقون.

17-الربيع العاصف.

obeikandl.com

18-رحلة إلى الله.

19-ليل الخطايا.

20-ليل وقضبان.

21-في الظلام.

22-رأس الشيطان.

23-عذراء القرية.

24-طلائع الفجر.

25-أرض الأنبياء.

26-حمامة سلام.

27-ملكة العنب.

28-امرأة عبد المتجلي.

29-اعترافات عبد المتجلي.

30-قضية أبو الفتوح الشرقاوي.

31-أهل الحميدية.

32-مملكة البلعوطي.

33-الرجل الذي آمن.

34-ابتسامة في قلب شيطان.

35-لقاء عند زمزم.

36-الرايات السوداء.

37-أميرة الجبل.

38-الكأس الفارغة.

39-رمضان حبيبي.

40-سراييفو حبيبتي.

ثالثا-المسرحيات:

obeikandi.com

1-على أسوار دمشق.

2-الجنرال عليّ.

3-محاكمة الأسود العنسي.

4-الوجه المظلم للقمر.

(يلاحظ أن المسرحية الأولى هي المتاحة فقط)

رابعًا-القصة القصيرة:

صدرت له المجموعات القصصية الآتية:

1-عند الرحيل.

2-العالم الضيق.

3-موعدنا غدًا.

4-الكابوس.

5-حكايات طبيب.

6-دموع الأمير.

7-فارس هوازن.

خامسًا – التنظير الأدبي:

1-مدخل إلى الأدب الإسلامي.

2-الإسلامية والمذاهب الأدبية.

3-آفاق الأدب الإسلامي.

4-حول المسرح الإسلامي.

5-نحو مسرح إسلامي.

6-تجربتي الذاتية في القصة الإسلامية.

7-القصة الإسلامية وأثرها في نشر الدعوة.

8-رحلتي مع الأدب الإسلامي.

9-أدب الأطفال في ضوء الإسلام.

obeikandl.com

10-الأدب الإسلامي بين النظرية والتطبيق.

11-إقبال الشاعر الثائر.

12-شوقي في ركب الخالدين.

سادسا -في الفكر الإسلامي:

1-الطريق إلى اتحاد إسلامي.

2-الإسلام وحركة الحياة (جزآن).

3-حول الدين والدولة.

4-تحت راية الإسلام.

5-نحن والإسلام.

6-الثقافة في ضوء الإسلام.

7-الإسلامية والقوى المضادة.

8-أعداء الإسلامية.

سابعًا-في الطب والصحة:

1-في رحاب الطب النبوي.

2-الصوم والصحة.

3-الثقافة الصحية.

4-رعاية المسنين في الإسلام.

5-قصة الإيدز.

6-مستقبل العالم في صحة الطفل.

7-المجتمع المريض (دراسة ميدانية عن السجون).

ثامـــنًا-السيرة الذاتية:

صدر له كتاب "لمحات من حياتي" في خمسة أجزاء.

obeikandl.com

يبين من القائمة السابقة مدى الثراء والتنوع في مؤلفات شاعرنا، وهذا بالطبع لا يخلو من دلالة على موهبته الأدبية وثقافته الموسوعية، رغم مشاغله وأعبائه الطبية التي لم تحل بينه وبين الكتابة والتأليف، وتبقى بعض الملاحظات على هذه القائمة:

***أولا*ـ** ليست هذه القائمة نهائية؛ فهناك مؤلفات أخرى لنجيب الكيلاني يصعب الوصول إليها، إما لأنها فقدت، أو صودرت، أو لم يعد هو طبعها، مثل:

- رواية الكأس الفارغة، فقد فقدت في المطبعة.
- نظم الكيلاني بعض قصص السيرة شعرًا، وقد فقدت.
- للكيلاني كتاب عن الأديب مصطفى صادق الرافعي بعنوان "الرافعي في موكب البعث" أحرق في السجن.
- مسرحية "حسناء بابل" صادرتها إدارة سجن أسيوط.
- مسرحية على أسوار دمشق- منعت في سوريا.
- روايتا "ليل الخطايا" و"أميرة الجبل" لم يعد طبعهما.

يضاف إلى ذلك عدد من القصائد المفقودة أشار إليها في مواضع متفرقة من مذكراته.

وإذا كانت الظروف القاسية التي مر بها شاعرنا سببًا في ضياع بعض أعماله، فإن إهماله في الاحتفاظ بنسخ من مؤلفاته أو بصورة منها – على حد قوله- كان سببًا في ضياع بعضها الآخر[53].

ثانيًا- نال الكيلاني عددًا من الجوائز والميداليات عن بعض مؤلفاته، مثل[54]:

- جائزة التراجم والسير عن كتابه "إقبال الشاعر الثائر" 1957، وكذلك كتابه "شوقي في ركب الخالدين".
- جائزة أفضل رواية عن روايته "اليوم الموعود" في مسابقة المجلس الأعلى للآداب والفنون، وقد قررتها وزارة التربية على الصف الثاني الثانوي.

([53]) – عن أعماله المفقودة، انظر: مذكراته ص 378-379، وكذلك: تجربتي الذاتية في القصة الإسلامية، ص 19.

([54]) – عن الجوائز التي أخذها، انظر: مجلة الأدب الإسلامي ع9/ 10، ص 6، 63.

obeikandl.com

- الجائزة الأولى في مسابقة القصة القصيرة، والميدالية الذهبية المهداة من الدكتور طه حسين عن قصة "شجاع".

- جائزة مجمع اللغة العربية عن رواية "قاتل حمزة".

- ميدالية "محمد إقبال" مهداة من الرئيس الشهيد ضياء الحق في الذكرى المئوية للشاعر.

- جائزة وزارة التربية والتعليم عن روايته "الطريق الطويل"، وكتابه "المجتمع المريض"، وقد قررت الوزارة هذه الرواية على الصف الثاني الثانوي كذلك.

ثالثا-حظيت تجربة الكيلاني الروائية بنصيب وافر من الاهتمام، فترجم بعضها إلى لغات أخرى، وقرر بعضها على طلبة المدارس، ودخل بعضها مجال الإنتاج السينمائي والتليفزيوني، أما عن رواياته المترجمة، فقد ترجمت روايته الأولى "الطريق الطويل" إلى الروسية والإيطالية، وترجمت رواية "عمر يظهر في القدس" إلى الإنجليزية وعدد من اللغات الشرقية، وترجمت رواياته الثلاث (ليالي تركستان- عذراء جاكرتا- عمالقة الشمال) إلى اليونانية، وله ثماني روايات مترجمة إلى التركية[55].

وفى مجال الإنتاج السينمائي والتليفزيوني، قام تليفزيون "دبي" بإنتاج مسلسل من ثلاث عشرة حلقة عن روايته "الذين يحترقون"، وقدمت الإذاعة المصرية خماسية عن روايته "في الظلام"، وقامت محاولة لإنتاج روايته "اليوم الموعود" كفيلم سينمائي في مصر، لكنها لم تنجح بدعوى ارتفاع تكاليف الإنتاج لأنها فيلم تاريخي، فأنتجتها إذاعة الكويت عام 1973م في صورة حلقات إذاعية، ثم أنتجت بعد ذلك بسنوات كحلقات تليفزيونية (إنتاج ليبي مصري مشترك)، كما اختار الأستاذ نجيب محفوظ روايته "ليل وقضبان" للإنتاج السينمائي، كذلك قدمت رواياته الثلاث (ليالي تركستان- عذراء جاكرتا- عمالقة الشمال) في إحدى الإذاعات الإيرانية[56].

سابعًا-وفاته:

([55]) - عن رواياته المترجمة، انظر: تجربتي الذاتية في القصة الإسلامية، ص 52 ومذكراته ص 325، 335.

([56]) - انظر: تجربتي الذاتية في القصة الإسلامية، ص 52، ومذكراته ص 329.

عاد شاعرنا من دولة الإمارات بعد أن أحيل إلى التقاعد عام 1992، ولم يمهله القدر في وطنه الحبيب سوى ثلاث سنوات، فقد نازله مرض "السرطان" في أخريات حياته، ونقل إلى المستشفى التخصصي بالرياض للعلاج، وامتدت به المحنة شهورًا طويلة قاربت السنة، وكتم الطبيب المعالج الأمر عن مريضه، كما كتمته عنه زوجته الصابرة وابنه الطبيب المرافقان له[57].

وكان في مرضه مثال المؤمن الصابر المحتسب، لا تفارقه ابتسامته المعهودة، ولا ينقطع أمله في استئناف مسيرة الأدب الإسلامي، وفى 5/ 10/ 1415 الموافق 6/ 3/ 1995 سكت الهزار عن الصداح، واختاره الله إلى جواره[58]، فبكاه الشعراء في مصر وخارجها، وممن رثاه في مصر الشاعر محمد التهامي في قصيدة جاء فيها:

أَلَـمْ تَعْلَـمْ وَكُـلُّكَ أَنْتَ حُبُّ ... بِـأَنَّ فِـرَاقَكَ الأَحْبَابَ صَعْـبُ
فَتَنْـأَى بَعْـدَمَا أَذِّنْتَ فِينَـا ... بِـأَنَّ نِهَايَـةَ الأَشْـوَاقِ قُـرْبُ
مَـلأْتَ لَنَـا مَسَالِكَنَـا ضِيَـاءً ... وَرُحْتَ عَلَى ضِفَافِ النِّيلِ تَحْبُو
سَكَبْتَ لِكُـلِّ ذِي ظَمَأٍ شَـرَابًا ... وَفَـاتَكَ مِنْ دِهَاقِ الْكَأْسِ شُرْبُ
شُغِلْتَ بِـأَنْ مَلأْتَ لَنَا الأَوَانِي ... فَـرُحْنَا مِـنْ مَـوَارِدِهَا نَعُـبُّ
عَصَرْتَ مَـرَارَةَ الإِجْهَادِ عُمْرًا ... لِتَسْقِينَا شَـرَابَكَ وَهْـوَ عَـذْبُ
رَحَلْتَ "نَجِيـبُ" عَنْ زَمَنٍ ... وَرُحْتَ فَلَمْ يَعُدْ فِي النَّاسِ نُجْبُ
تَدَنَّى

ورثاه الشاعر الدكتور صابر عبد الدايم، والشاعر محمد عبد الجواد، ورثاه من المغرب الشاعر الدكتور حسن الأمراني بقصيدة مطلعها:

هَـا أَنْتَ تَـرْحَلُ فَالْقُلُوبُ وَجِيبُ ... قَـدْ شَيَّعَتْكَ مَـدَامِعٌ وَقُلُـوبُ

([57]) – مجلة الأدب الإسلامي ع9/ 10، ص 5.

([58]) – انظر: السابق، ص 7.

obeikandl.com

نَطَقَ الضَّمِيرُ بِمَا يُجِنُّ مِنَ الأَسَى أَأُلامُ إِنْ سَـدَّ الطَّرِيقَ نَحِيبُ؟!

ورثاه من السعودية الشاعر الدكتور عدنان علي رضا النحوي، ومن الأردن الشاعر محمد شلال الحناحنة[59].

obeikandl.com

(59)- انظر في الشعراء الذين رثوه: مجلة الأدب الإسلامي، ع 9 ص 174 – 189.